أربع سنوات على رحيل جابر الخير والإنسانية

جابر الأحمد.. رجل الحكمة ورائد النهضة والتنمية

قد تموت أجساد العظماء وتفنى لكن أرواحهم تظل باقية تسكن في قلوب محبيهم فـإذا ما عادت ذكراهم الى الأذهـان فإن تلك القلوب ترثيهم دمـا ودموعا قبل ان ترثيهم شعرا ونثرا.

وفي هذه الذكرى الأليمة والغالية في آن واحد قد نعجز عن حصر مناقب سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد (رحمه الله) ولكننا سنضيء على أبرز إنجازاته وإسهاماته في بناء الكويت والارتقاء بمستواها في شتى المجالات.

أمير القلوب (رحمه الله) حاملا صوت الكويت إلى الأمم المتحدة

سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد وسمو الأمير الوالد الشيخ سعد العبدالله رحمهما الله في احدى المناسبات

صاحب السمو الأمير الشيخ صباح الأحمد مع سمو الأمير الراحل الشيخ جابر الأحمد في أحد اللقاءات

فلسفته السياسية في الحكم بينت حرص سمو الأمير الراحل الشيخ جابـر الأحمد، منذ توليه دفة الحكم، علـى تأصيل وتكريس التجربة الديموقراطية، وترشـيد مفاهيمها الصحيحة وممارساتها الراشدة في عقول وضمائر أبناء الكويت، فجاءت ديموقراطيتنا بفضله كويتية المنشأ والمنبـت تتفاعل فيها القيم الثقافية والاجتماعية والتاريخية محافظة بذلك على تقاليد الكويت التي شهدت ولادته بتاريخ 29 يونيو عام 1928 وهو الابن الثالث للمغفور له الشيخ أحمد الجابر.

بدأ سـمو رحمه الله دراسته في المدرسـة المباركية وبعدها أكمل تعليمه على أيدي أساتذة من ذوي الاختصاص في العلوم كافة.

وأتاح له والده أن يزور العديد من بلدان العالم، فرأى عن كثب أحوال الشـعوب الأخرى، وحينما بلغ من العمر 21 عاما تقريبا، بدأ ممارسته العملية السياسية، واتصاله المباشر بأمور الحكم والسياسة.

ومبكرا لفت أمير القلوب رحمه الله أنظار والده الشيخ أحمد الجابر، حاكم البلاد آنذاك، الذي وجد في نجله مقدرة عالية على تحمل المسؤوليات ومواجهة الأعباء، الأمر الذي دفع الشيخ أحمد الجابر الى تعيينه نائبا عنه عام 1949 في مدينة الأحمدي وهو لايزال في العشرينيات من عمره، وذلك لحنكته في إدارة دفة الأمور بشكل متوازن، وقدرته على استشراف المستقبل بذكاء تتطلبه المرحلة التي كانت تعيشها الكويت.

وتابع سمو الأمير الراحل مسيرته السياسية حتى عام 1977 عندما نودي بسموه أميراً للبلاد ومنذ ذلك اليوم وحتى 15 يناير 2006 وسموه حمل على عاتقه مسؤولية النهوض بالكويت والعمل على تحقيق الرفعة والسمو لهذا البلد ولشعبه.

رعاية أبوية

واستطاع الشـيخ جابر الأحمد طيب الله ثراه خلال الأعوام الـ 28 التي قضاها في سدة الحكم أن يوثق ويزيد من العلاقة العفوية الوثيقة بين الحاكم وشعبه وذلك من خلال الرعاية الأبوية التي خص بها سموه أبناءه المواطنين بمختلف فئاتهم على أساس المساواة الكاملة بين الجميع شبابا وشيبا، رجالا ونساء وأطفالا.

وشهدت سنوات حكم الشيخ جابر الأحمد كثيرا من الصراعات والأحداث في المنطقة وكان الشغل الشاغل لسموه أهل الكويت حتى أثناء المحاولة الدنيئـة لاغتياله التي جرت في 25 مايـو 1985 على أيدى عصابة من الإرهابيين فقد وجه بعدها كلمة لشعبه قال فيها: «ان عمر جابر الاحمد مهما طال الزمن هو عمر انسـان يطول أو يقصر ولكن الأبقى هو عمر الكويت والأهم هو بقاء الكويت والأعظم هو سلامة الكويت».

وفي عهده تطورت الكويت في مختلف المجالات وفي جميع مناحي الحياة وأصبح لها وزنها وثقلها الدولي سياسيا واقتصاديا رغم صغر مساحتها وقلة عدد سكانها، حيث وصلت مشروعاتها التنموية ومساعداتها الإنسانية لمختلف قارات العالم، وجاء الاحتلال العراقي الغاشم في الثاني من اغسطس 1990 ليهدم كل ما بني في الكويت عبر السنين.

وكما قاد الشيخ جابر الأحمد الكويت في السلم دافع عنها في الحرب متسـلحا بإيمان كبير بأن الكويت سترجع الي أهلها واستطاع سموه بفضل من الله ثم بحنكته وتعاون ومساعدة الأشقاء والأصدقاء تحرير الكويت من دنس الاحتلال.

وبفضل سياسة سموه الحكيمة عادت الكويت إلى أهلها لتنهض وتواصل مسيرة الخير والعطاء من جديد وتبني وتعمر ما دمره العدوان.

وأدى سموه دورا بارزا على الصعد الخارجية إقليميا وعربيا وإسلاميا ودوليا وهو دور مشـهود لمسـته الشـعوب قبل القيادات في صورة إنجازات لا تنكر.

وجاءت فكرة إنشـاء مجلس التعاون لدول الخليج العربية لتضم دول الخليج الـ 6 وهي احدى علامات وسمات اهتمامات سموه بالجانب الإقليمي المحيط بالكويت بصورة خاصة وبدول الخليج العربي بصورة عامة.

مجلس التعاون

وهكـذا ولد مجلس التعاون الخليجي بفكرة كويتية خالصة نابعة من قناعة سموه بأن العصر المقبل هو عصر التكتلات التي تعد ركيزة أساسية من ركائز المجتمع الدولي.

وأكد الشـيخ جابر الأحمد في مناسبات مختلفة ان مجلس التعاون أصبح رمزا للترابط والتماسك والمصير الواحد المشترك.

ورغبة من سـموه في أن تكون قرارات مجلس التعاون منسـجمة مع تطلعات المواطنين اقترح سـموه فكرة إنشاء مجلس استشاري من 30 عضوا من مواطني الدول الـ 6 الأعضاء في المجلس وذلك في قمة الدوحة عام 1996 تكون مهمته تقديم النصح والمشورة والرأي للمجلس الأعلـى لمجلس التعاون الذي يعد السـلطة العليا حيث يحيل ما يراه من القضايا الى هذا المجلس الاستشـاري، وحرص سمو الشيخ جابر على المشـاركة الإيجابية في مؤتمرات القمة العربية مساهما بما تجود به الكويت من دعم لقضايا الأمة العربية وعلى رأسـها قضية فلسطين والسلام في الشرق الأوسط.

كما اهتم سـموه رحمه الله اهتماما بالغا بقضايا الأمة الإسـلامية على اختلافها وتباينها فاستضاف سموه قادة دول العالم الإسلامي في الكويت في يناير عام 1987 حيث عقد مؤتمر القمة الإسـلامي الخامس وانطلاقا من رئاسة الكويت لمنظمة المؤتمر الإسلامي ألقى سمو الأمير الراحل خطابا تاريخيا أمام الدورة الـ 43 للجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر 1988 باسم مليار مسلم في العالم بصفته رئيسا للمنظمة واقترح سـموه فيه مشروعا من 3 بنود لتخفيف معاناة الدول النامية المثقلة بالديون الخارجية التي تستغلها دول الشمال المتقدمة كوسيلة ضغط على دول الجنوب الفقيرة، وهكذا كان سموه مثالا للمسلم الذي يهتم بأمور المسـلمين ويسـعى بكل الجهود لنصرتهـم ورفع الضرر عنهم، أما على الصعيد الدولي فلم يكن سـمو الشيخ جابر الأحمد أقل نشـاطا واهتماما بهذا الجانب الذي يشمل التعاون مع دول العالم من خـلال الجمعية العامة للأمم المتحدة التي حرص سـموه على حضور اجتماعاتها من منطلق انه مكان تجتمع فيه الدول على قدم المسـاواة وتسعى متآزرة الى اقامة الحق والعدل ونصرة النظام والأمن وتحقيق الخير والسلام.

عزيمة لا تقهر

تلقى سموه رحمه الله طعنة الغدر العراقية بفروسية قائد وأدار من الطائف معركة التحرير ونجح في أصعب امتحان لم يكن في الحسبان، لأنه ثابت الجنان اعتمد على الرحمن وأحسن التخطيط والتدبير، وفي سـاعات المحنة قال لشعبه «انني أوجه إليكم هذه الرسالة وأنا أعيش معكـم وبينكم ومن أجلكم دائما وأبـدا وأفكر فيما تفكرون وأعمل بما يرضي الله» فكانت كلماته زاد المعركة والنضال الوطني، وإدارته للمحنة فنا يحتذى للأمم والأوطان.

لا يمكن لأحـد يعيش في حدود الوطن العربي والعالم الإسـلامي ان ينسى الشـيخ جابر الأحمد وهو يقول للاحتلال العراقي الآثم «اذا كان العدوان تمكن من احتـلال ارضنا، فإنه لن يتمكن ابدا من احتلال عزيمتنـا» وبعزيمته التي لا تقهر قهـر الاحتلال وحرر الأرض، ولعل براعته في التخطيط التي اكتسبها منذ ان كان وزيرا للمالية كانت وراء إثـراء المحافظة المالية في الخارج لأكثر من مليار دولار سـاعدت على تحقيق هدف التحرير.

المصارحة والشفافية

بسـالته لم تقف عند حدود الحرب والنصر انما امتدت في مرحلة التعمير، وإعادة البناء فأعاد الكويت الى أبهى مما كانت قبل اغسطس 1990، ففي كل يوم كان يضيف جديدا لخارطة التنمية.

وعادت الكويـت تتألق في كل ميدان بفضل رؤيته الثاقبة وقيادته الرشـيدة وسـلامة تخطيطه، فتجاوز المحن وتخطـى الأزمات وهزم المصائب والصعاب.

وأظهرت محنة الاحتلال مدى التصاق الشعب الكويتي برمز الكويت سمو الأمير الراحل الشيخ جابر فبعد احتلال دام سبعة أشهر شهد خلالها الشـعب الكويتي أفظع أنواع التعذيب والقهر تحقق النصر والتحرير بفضل الله ثم بالدور البارز لسـموه في حشد الرأي العربي والدولي لمصلحة قضية الكويت.

وكان لسمو الأميرالراحل الشيخ جابر الأحمد دور بالغ الأهمية في التفاف الشـعب الكويتي حول قيادته الشرعية ومقاومته الاحتلال في الداخل. وتمكن سموه من تغطية نفقات التحرير التي قدرت بعشرات المليارات من الدولارات بفضل تخطيطه السليم وسياسة الاستثمارات الدوليـة التي انتهجها منذ كان وزيرا للمالية ثم وليا للعهد ورئيسـا لمجلس الوزراء ثم أميرا.

أمير الخير والإنسانية

وخلال عام 1995 اختير سـموه رحمه الله شخصية العام الخيرية العالمية بالاجماع ومن دون منافس وذلك في أضخم استطلاع للرأي في المنطقة بمشـاركة خمسة ملايين مواطن عربي اجرته مؤسسة اعلامية دولية مسجلة في لندن ومقرها القاهرة وهي مؤسسة المتحدون للإعلام والتسويق البريطانية.

وذكر الاستطلاع ان قرار اختيار سموه شخصية العام 1995 الخيرية جاء نتيجة ما قدمه من دعم مالي للكثير من المنظمات العالمية التي ترعى الفقراء، حيث ساهم سموه بأمواله الخاصة في الانفاق على مشروعات خيرية ورعاية المحتاجين كما قام بدعم دور الأيتام في الكويت وتقديم كل ما تحتاج اليه من عون ورعاية.

وجاء اختياره ايضا لما عرف عنه من كرم وبذل وعطاء على مستوى الأمتين العربية والاسـلامية فقد كان سمو الشيخ جابر داعما للأعمال الخيرية والإنسانية ماديا ومعنويا، فهو الذي رعى مسيرة احياء سنة الوقف بعد ان تناساها الناس وذلك بإنشاء الأمانة العامة للأوقاف لتتولى الوقف في الكويت وتدعو له وتربطه بحاجات الإنسان والمجتمع وفق الشريعة الإسـلامية. والمعروف عن سموه انه كان سباقا لعمل الخير ومؤمنـا بجدواه من دون مباهاة ولا ابتغاء ثناء الناس لأنه كان يعطي ويحب الإحسان والمحسنين، اذ طالب بإسقاط الديون عن الدول الفقيرة لمساعدتها في شق طريقها في الحياة من جديد، ولعطائه السخي اختير عن جدارة شخصية العام 1995 عرفانا من العالم بأياديه البيضاء التي عمت بخيرها أنحاء المعمورة ومنها تبرعه بمبلغ 10 ملايين دولار لمنكوبي الاعصـار في ولايتي فلوريدا ولويزيانـا في الولايات المتحدة ونصف مليون دولار لدار الهلال في مصر ومليون دولار لإنشاء أكبر دار للأيتام في البوسـنة والهرسـك و3 ملايين دينار للهيئات الخيرية الإسلامية لمساعدة مسلمي البوسـنة والهرسك ومليوني دولار لبناء مدرسة في المركز الإسـلامي في نيويورك و67 مليون دولار عام 94 لترعة السلام في مصر المسماة باسمه و15 مليون دولار لإعادة اعمار لبنان.

وفـي العام الأول لعهده رحمه الله صـرف 20 مليون دينار منحة للموظفين في مختلف قطاعات الدولة كمبادرة كريمة وإنسانية، وأضاف الى سجل المكرمات الحافل اعتماد منحة لعدد 4 من الطلاب والطالبات المتفوقين عـام 2000 ومنحة بقيمة 100 دينار لـكل مواطن عام 2001، ومنحة عام 2004 بمعدل 200 دينار لكل مواطن، ومليون دولار للشعب الافغاني. وكانت مبادراته الخيرة داخل الكويت وخارجها، فكان دائما

البقية ص 21